

هل هروب الرجل من المرأة المثقفة حقيقة أم خيال؟

د. لطيفة حسين الكندري

مديرة المركز الإقليمي للطفولة والأمومة وأستاذ مشارك في كلية التربية الأساسية

مسألة هروب الرجل من المرأة المثقفة قد تكون حقيقة عند فئة من الناس وهذه الفئة في حقيقتها تعاني من نقص في الثقة بذاتها أو تعاني من قيود الموروثات الاجتماعية الخاطئة أو تكون العقدة عند الإنسان الذي يشعر بالنقص في شخصيته ويعتقد أن الرجل هو الأفضل في كل شيء (وأن النجاح حليف الذكر فقط) ويجهل عملية التكامل بين الزوجين ومثل هذه العقليات - المتعبة والمتعبة - تنظر إلى ثقافة المرأة على أنها مسألة ترف وأمر كمالي فلا يقترن الرجل - من هذا الصنف - إلا بالمرأة التي تقبل أن تكون تابعة وخاضعة للزوج في كل الأمور، فيتوهم الرجل في هذه الحالة أن المرأة ذات رسالة إنجابية فقط وأن العلوم والثقافة من اختصاص الرجل وهي لا حاجة لها بالفكر الإنتاجي لأن دورها إنجابي... وهذا فهم قاصر ومشوه. وقد يخشى الرجل أن تنازعه المرأة المثقفة وتكون متفوقة عليه في جوانب معينة وهؤلاء نقول أن العاقل لا يخشى المعرفة ولا يتجنب الثقافة بل يرحب بها ويسعى إليها ويستفيد منها. وإذا كانت هناك طبقة من النساء المثقفات لم يحسن في حياتهن الأسرية وقدمن نموذجاً غير صالح فهذا ليس عذراً للهروب من المثقفات بل إصلاح الأمور خير وأبقى... ومن الأمانة أن نقول أن معظم المثقفات في عالم التعليم والصحافة والاقتصاد... يقمن بحمد الله بدور رائع تجاه أسرهن ومجتمعهن، والمنصف يشهد بذلك.

لا يهرب الإنسان من أمر إلا إذا شعر بعواقب وخيمة والمرأة المثقفة في ذهنية البعض ستجلب المشاكل للحياة الزوجية إذ قد تتكبر وترفع وتغتر وتباهي بثقافتها مما يفسد العلاقات الزوجية ولكن هذا العذر المتهافت وهذه العلة الواهية قد تقع عند الرجال والنساء على حد سواء ومهما يكن الأمر فليس ذلك بمسوغ للهروب من الإنسان المثقف فكل نعمة قد يساء استخدامها والعاقل لا يتخلص منها بل يصلحها.

المرأة المثقفة سند لزوجها ، ومدد لأبنائها ، وعون لمجتمعها... والمرأة إذا كانت محدودة الثقافة أو محرومة فهي غالباً طاقة معطلة ترهق الأمة بأكملها وقليلة النفع لأسرتها.

صاحب الذائقة الثقافية السليمة يدرك أهمية مصاحبة المثقفين وثمره الاقتران بالمثقفات. ورد في أدبنا العربي الجميل "لَا تَصْحَبْ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِنَ الْحَقِّ مِثْلَ مَا تَرَى لَهُ أَي لَا تَصَاحِبْ مَنْ لَا يُشَاكِلُكَ وَلَا يَعْتَقِدُ حَقَّكَ" وأيضا "لا تصاحب إلا عالماً تقياً ولا تخالط إلا فاضلاً زكياً ولا تشاور إلا أميناً وفيماً" ولا تصاحب وتقترب من لا يجب العلم فهل بعد ذلك يفر العاقل من المثقفة صاحبة البصيرة.

وإذا كانت المرأة المثقفة نعمة للأسرة ومكرمة للمجتمع فإن عليها أن لا تظهر أمام الرجل على أساس الندية والتفوق والهيمنة والتنافس المدموم بل لا بد من الوعي الكامل بأن الثقافة النافعة هي التي تعطي الزوج

الثقة بالحياة الزوجية السعيدة وبدور المرأة في الحياة الكريمة. وعصارة الثقافة النافعة تهب المرأة قوة دافقة لبناء الشراكة والتعاون مع الزوج والتبادل والنمو الثقافي لما فيه مصلحة الأسرة ككل.

وفي ظل التحديات المعاصرة فإن دور المرأة اليوم هو إثبات أن الثقافة العالية، والخلق الرفيع، والتمسك بالدين من أهم مستلزمات الأسرة لا سيما ونحن في عصر يموج بالعلوم والمعارف والفنون والإبداعات. ولا بد للرجل أن يشجع المرأة من تكوين ثقافة رفيعة فالعلم النافع يقود الزوجين نحو سبل الحياة الطيبة وإن الاستزادة من العلم لكل من الرجل والمرأة لذة عظيمة ونعمة مستديمة.

وهنا أود أن أشكر كل رجل واثق بنفسه فيساند المرأة ويدعمها صادقاً في اكتساب ثقافة عالية تتيح لها بناء شخصيتها على بصيرة ومن المؤكد أن مجتمعاتنا العربية تشهد ميلاد مثقفات على مستوى رفيع وهذا يدل على عقلية متفتحة للمجتمع ورؤية حضارية واعية.

ويليق بنا القول بالرجل العاقل الواثق بنفسه لا يهرب من المرأة المثقفة بل يقترب منها ويقترب بها. إن الذي يقترب بامرأة مثقفة ذات خلق ودين شخص نبيل يعرف قدر النساء فيغرد في سربه وينجح في سعيه، وأما الهروب من الزواج من المثقفة ففيه دلالة على نقص شديد واضطراب محقق في شخصية الرجل وجهل بالحياة وأيامها الزاهية، فالعلم نور وضياء، والجهل ظلمة وبلاء.